

القول القاري عنهم

أمثلة أخرى

مؤسسة الزفاف الملكي

وحتى يرى القاري، أن هذه الطريقة تصلح لتربية صبيان الشعب في كل زمان وفي كل مكان، ذلك لأن الطبيعة الانسانية تستجيب بطريقة ثابتة لبعض التوابع، والصبيان يتفوقون في الأساس الذي تنبئ عليه طبائهم في جميع بقاع العالم. نسكي يرى القاري، أن في هذا شيئاً من الصحة والصواب ترك هذا النادي وصبيانته لذكر بعض الحوادث التي شاهدها الكاتب ولمسها وكان له شأن فيها في معهد آخر.

مؤسسة الزفاف الملكي منشأة أقامها الشاذلي باشا أيام كان محافظاً للقاهرة، وهي الآن تتبع محافظة القاهرة ووزارة الشؤون الاجتماعية، ولها مجلس إدارة كان كاتب هذه السطور عضواً فيه، يعمل فيه بصفته إخصائياً في التربية وشئون الأطلال، ويطبق على الصبيان في المؤسسة قواعد التربية الحديثة تحت إشراف مجلس إدارتها.

وتضم المؤسسة مائة وعشرين صبياناً. كلهم من قبض عليهم البوليس للتشرد والسرقات والتعدي على الناس والممتلكات، قبض عليهم البوليس وأودعهم المؤسسة حيث يأكلون ويشربون وينامون ويلعبون ويتعاملون في مدرسة خاصة بهم فيها أو يعملون بالاجور فيها وفي المصانع التي تحيط بها، بابها مفتوح يخرج منها الصبي في أي وقت يشاء إن أراد، ويغادرها إذا لم يرقه المكوث فيها دون أن يمنعه أحد أو يقف في طريقه أحد، وتركها

ر كذا من ثمنها للمصنع أو للمنتج أو الزمعة من ثمنها من مودرعه . ولو أن
 يتقرب الصبيان أنفسهم ويحافظون عليها . فاصول من ابتلاعب بها أو
 بالثمنها .

هذا كثير من تفواتي والدواعي التي توجب رد ثمنها كذا . فتنسئة الصبيان
 على وسائل الر جسولة والولاء للدولة والسبب المصير والاحتياجات التي ينبغي
 إيها الفرد . ولا يهتد في هذا المجال بتصيل هذه التواتر والاحتياجات منها
 دون واحد . ومع هذا استشارة الصبيان وبرأيهم وهو الافتتاح . وهو ان كل
 شيء يعمل بالأجر ويريد أجره عن قدر معين من التفرغ في الأسبوع
 يدفع للمؤسسة نصف ما يتكسب في نظير أكله ويستمر على هذا الوضع إلى
 أن يتناول هذا النصف قيمة ما يتصرف على أكل الفرد . ثم لا يتعدى ما يدفعه
 هذه القيمة . أما باقي أجره ينضم إلى صنفين أيضا . نصفه يودع باسم الصبي
 في بنك ممبر حتى إذا خرج من المؤسسة يكون له بعض رأس المال .
 والنصف الباقي يحتفظ به لمصروفه الخاص .

ونحرص في كل هذا على أن لا تدخل في شؤون الصبي . وهو الذي
 يقبض أجره من المصنع بنفسه وهو الذي يقدم يديه نصف أجره
 حرية المؤسسة للأكل والربع للتوفير . نترك هذا للصبيان عالمين أن قيمة
 مجال التلاعب هي صبي يريد ان يتسلاعب . ولما كنا نعلم أيضا ان هذا
 التلاعب إذا تم سيكشف من تلقاء نفسه على الأغلب . وعلى كل حال
 نحرص في ان لا نتجسس على الصبي أو نشهره بعدم ثقنا فيه دون ما
 يدعو إلى ذلك . خير الأخلاق في المؤسسة ان يذجو واجد بتلاعبها
 من ان تفقد ثقة جميع الصبيان بنا . وقد اتفقنا في هذا كثيرا . وقيل
 لنا انه يجب علينا ان نقبض اجور الأطفال من المصانع بأنفسنا حتى لا
 يتسلاعب بنا صبي . ولما كنا لم نر الحكمة في هذا المنقذ فلم نأخذ به
 للأسباب المتقدمة .

وحدث أن زاد أجر صبي من الصبيان خمسة فروس في الأسبوع
وأمسك بهذا الصبي عن أن يخبرنا بهم ، واحتفظنا بالخمسة فروس في ضرورتهم
الخاص ، ولكن تشاء الصنف أن تكشفه لنا ، ذلك إنه من عادة الرواد
في المؤسسة أن يرووا المصانع التي يعمل فيها أولادنا بين الخبز والحديد
للتحقيق من أنهم يقومون بواجباتهم بخير قيام وأن أصحاب المصانع راضون
عنهم . وعندما ذهب الرائد إلى مصنع الصبي قال له صاحب المصنع انه مسرور
جداً من عمل الصبي وقد زاد خمسة فروس في الأسبوع لأنه راض عنه .

عاد الرائد بهذا دون أن يفتح فاه بشيء لا للرجل ولا للصبي (وهو م
يحضر الحديث بالطبع) وكان شيئاً من هذا لم يكن . ثم أتى بالمشكل في
اجتماع الرواد الأسبوعي فبحثناه من كل وجوهه واحتفظنا خطة للعمل
تبين مما حدث بعد ذلك واتفقنا على أن ندعو كل من يعمل بالاجور من
الصبيان إلى اجتماع عام وحددنا لذلك موعداً .

وفي الاجتماع وقف الكاتب وقال للصبيان :

كلنا يحب المؤسسة ويزود عنها بما يملك . وكلنا له من الولاء لها ما
يمكنه عن أن يأتي بما يشينها بحال من الأحوال . ونعلمون أن المؤسسة
أعداء في الخارج يقولون عنا الأقويل الكثيرة . ويرغمون اننا اناس
لا نستحق عناية أو خيراً ، وبالطبع يدفع الأفندية عننا كل التهم ويردون
بأن أهل المؤسسة من رجال وصبيان قوم أشرف يحافظون على كرامتهم
ولا يعرضون سمعتهم أو شرفهم لما يشين . وتدفعون انهم عنا التهم أيضاً
بالقول والعمل فلا تسمحون لأحد أن يقول فيها ما لا يليق . ثم لا يعملون
عملاً يجلب عليها ما يهين .

ولكن بالأسف انقلب واحد منكم عليكم وانضم لاعدائكم وسلبهم

بما يستطيعون مهاجمة المؤسسة به . قدم أحدكم البرهان لأعداء المؤسسة على أننا جماعة لا شرف لنا ولا رجولة، ذلك أن أحدكم زاد أجره الأسبوعي خمسة قروش فكتم هذا عن المؤسسة خوفاً من أن تقاسمه هذا المبلغ وهو يريد ان يحتفظ به كله لنفسه .

ولهذا السبب ، وخوفاً من أن يشيع هذا التصرف فيضرب بسمعة معهدنا اتفق الرواد على اقتراح يريدون طرحه أمامكم للموافقة عليه ، والاقتراح هو - « من الآن فصاعداً لا يدفع أي فرد منكم ما يوافق نظير أكله ، بل استيقوا أجركم لأنفسكم وتصرفوا فيها بما يحلو لكم » ثم جلس ونزك الاجتماع لرئيسه لإدارة المناقشة وتقرير ما يريد الصبيان .

الرئيس - سمعتم ما ألقى عليكم الآن ، وأمامكم اقتراح باعفاء الأعضاء مما يدفعون في نظير أكلهم فما رأيكم .

صبي - لا تقبل هذا الاقتراح .

صبي - هذه المؤسسة هي بيتنا ودارنا ولا بد أن ندفع لها ما نستطيع دفعه في نظير أكلنا .

صبي - لقد عملت منا المؤسسة رجالاً نعمل ونتكسب فلا بد أن نعينا ببعض ما نتكسب .

صبي - نحن رجال ولا نريد أن نطعم مجاناً ، يجب أن نطعم أنفسنا بما ندفع .

صبي - ندفع كل أجورنا في نظير الأكل .

الرئيس - نحب أن نسمع رأي من يوافق على الاقتراح (سكوت)

إذن الموافق على الاقتراح يقف (لم يقف ولا واحد)

المعارض للاقتراح يقف (وقف الجميع)

والكاتب رفقيل اعتراف الزوائد

الرئيس

هذا كان الأمر كذلك وسنقول قرار جماعة من الأمازيغ
أن يعيدوا توزيع الأجر فيما بينكم . وما نسبة ما
تدفعون في نظير الأكل . وما نسبة ما تدفعون وما
تتصرفون فيه .

الكاتب

الرئيس : مناقشوا في هذا

لا داعي للذكر ما ذكر من المناقشة في هذا الباب إذ يمكن تلخيصها في
أن الصبيان أبقوا النصف الذي يدفع للمؤسسة في نظير الأكل على حالتهم
وأما النصف الآخر فقد فرروا أنه إذا لم يزيد على ثلاثة قروش في الأسبوع
يعطى كله للصبي مضموناً له أما إذا وصل النصف الباقي إلى خمسة قروش
في الأسبوع فنصفه يوضع في صندوق التوفير ونصفه يبقى للصبي يتصرف
فيه كما يشاء .

بعد اتخاذ هذا القرار رفع صبي يده للرئيس مستأذناً بالكلام .

الرئيس : تفضل .

الصبي : الآن يريد أن يعرف اسم هذا الخائن .

صبي : يريد أن تطرده من المؤسسة .

صبي : أعطوا اسمه .

الرئيس : (للكاتب) ما اسم هذا الشخص .

الكاتب : نحن لا نعلم اسمه ، ولا نريد أن نذكره أمامكم ، وكفينا

أننا وجدنا ربحاً وحقماً قويمة وولاءكم لمصالحكم كبير ، ونظن
أنه يكفي هذا الصبي ما ناله من عدم رضاكم من تصرفه
وتؤثر فيكم لما عمل .

ثم انفض الاجتماع .

وفي ثاني يوم هذا الاجتماع دخل الصبي إلى مكتب المؤسسة وقيل له
 أنه آسف لتصرفه هذا ، فقد تبين له أنه لا يليق بصفوف المؤسسة ، ثم خرج
 وعندما قبض أخيراً في نهاية الأسبوع استقطع من مسرورفة بعضه ، ودفعه
 للمؤسسة واستمر يفعل هكذا كل أسبوع إلى أن رد كل ما اغتصبه منها
 في السنة الماضية .

(٢٠)

ولا يظن القارئ ، أن اجتماعات الرواد فيما بينهم تسير دون معارضة أو
 نقاش حاد ، يدفع كل منهم عن رأيه بكل حرية ، ويدعمه بالأبراهين المنطقية
 والتربوية . ولا ينسحب منهم يختلفون على حل كثير من المشاكل ، ولكن
 الشيء الوحيد الذي يرمون إليه من جميع خلافاتهم ونقاشهم إنما هو فائدة
 الصبيان الذين يقومون على تربيتهم دون اعتبار آخر ، وقد عرضت لنا
 مشكلة في أحد هذه الاجتماعات ، اتفقنا على المقامرة فيها بسببنا عند من
 لا يفهمون ما نعمل ، والمغامرة بسوء الفهم والقصد من بعض الناس ، واتفقنا
 على أن لا نطلع عليها أحد إلا أعضاء مجلس إدارة المؤسسة فهم المهتمون
 عليها ، وعليهم تلقى مسؤوليتها ، واتفقنا على أن نكتمه عن باقي الناس ، وبما
 أن الحادثة قد مضى عليها وقت طويل ويصح إذاعتها دون ضرر يعود منها
 على الصبيان فلا مانع من ذكرها هنا .

كان أحد الرواد يمر بالمؤسسة فوجد بعض الصبيان يتوارون في ركن
 منها ويلعبون الورق ويقامرون ، فتمسرع وجمع منهم الورق وأحضره للرواد
 في أحد اجتماعاتهم وقص عليهم ما رأى ، فاتفقنا فيما بيننا على أن الورق ليس
 السبب في مقامرتهم وإنما حب المقامرة نفسه السبب في وجود الورق
 في المؤسسة .

وعلى هذا قررنا أن نرجع الورق لهم يفعلون به ما يشاؤون إلى أن
 ندرس الموضوع ونجد حلاً للمشكلة .

وكانت المسألة من الأهمية عندهم بحيث تشعبت فيها الآراء
واستخدمت المناقشة .

يقول بعضهم أن القمار حرام، وضد الأديان، ويجب أن تردع الصبيان
عنه بأي ثمن، ويجب أن يضع الرواد قانوناً يجرمه تحريماً، ماذا يقول
الناس عنا لو سمعوا بهذا، أنهم يظنون أن رواد هذه المؤسسة قوم لا أخلاق
لهم، فاقضوا على هذا في الحال .

ويقول بعضهم كل هذا حسن ونوافق عليه إنما لا نتصرف بعامل
الخوف من الناس لئلا نفل مصلحة الصبيان النفسية أو نتبع قواعد تربوية
غير سليمة، ودارت المناقشة على هذا الأساس وبهذا الوضع .

رائد — نعرض المشاكل على الصبيان في اجتماع عام .

آخر — لا لا لا — هذا عيب — انسألهم ايردون أن يلعبوا القمار أم لا

آخر — نسألهم هذا السؤال بالذات .

آخر — وماذا يقول الناس عنا .

الرئيس — لا دخل لما يقوله الناس عنا، كل ما تريد الوصول اليه
ما ينيد الصبيان في أخلاقهم بغض النظر عما يقوله الناس،
فتمكلموا في فائدة الصبيان دون غيرها .

رائد — لا — نمنع هذا بقانون يصدر منا والسلام .

آخر — قانون يصدر منا لا يهتم به الصبيان كقانون يصدر منهم هم
ويسهرون هم على تنفيذه .

آخر — هل نضمن أن يصدروا قانوناً يمنع المقامرة في المؤسسة .

آخر — ربما يقررون القمار من ضمن ألعاب المؤسسة ونشاطها،

ماذا نفعل في هذه الحالة ، أسلم شيء لنا أن نصدر تعين القرار ونفرغ من الموضوع .

آخر — الأرجح الأغلب أن أعضاء المؤسسة مجتمعين سيرفضون القرار ويضمون العقوبات للمخالفين وينفذونها بدقة .

آخر — ولكن ماذا نصنع إذا ما لم يفعل الصبيان ما نظن أنهم فاعلوه على الأغلب الأرجح ، ماذا نفعل إذا عن لهم أن يظفروا ظنوك ، ثم لا تنسى أن الناس سوف ينتقدوننا من الانتقاد متى سمعوا انا استفتينا الصبيان في لعب القمار .

الرئيس — قلت لكم اتركوا ما يقوله الناس وشأنه ليس هنا من عملنا ولا يهمننا .

رائد — لنفرض أنهم قرروا لعب القمار فإذا نفعل .

آخر — يجب أن نوضح المسألة أمامهم بهذا الشكل — نقول لهم تعلمون أن لهذه المؤسسة حكومة من الصبيان تضع القوانين وتسيرها بها ، وأنا نحن موظفون مستقلون ، ولكننا خاضعون للدستور تضعه لنا لجنة المؤسسة الكبرى هذه اللجنة تضع لنا الحدود العامة أو الدستور الذي نسير بمقتضاه ومنه تستمد حكومتكم السلطة الادارية لتسير الأمور في المؤسسة .

ثم نضع أمامهم الأمور ونقول لهم أنت بعض الصبيان يريدون إدخال القمار في نشاط المؤسسة فإذا وافقتم على هذا ولم تكن لدي لجنة المؤسسة مواعيد ندخل القمار من ضمن النشاط .

آخر — هل ندخل القمار حقاً .

آخر — إذا لم يمكن عند الأطفال مانع فسلا يد أن توجد
لدى اللجنة موانع

آخر — وهل يجزأ أحد على عرض مثل هذا الطلب على اللجنة .

الرئيس — عرض الأمر على اللجنة ممكن وجائز ، ونحن نعرف
مقدماً رأيها ، وليس الغرض من العرض معرفة رأيها ،
وإنما القصد منه اطلاعها على ما تم في الموضوع وشرح
القواعد التربوية التي بنينا عليها تصرفنا هذا ، والأسباب
التي تدفعنا إلى هذه الطريقة ، ومنها إشراك الصبيان معنا
في التفكير وتوידهم على الشعور بالمسئوليات ، وأن
الجماعات تتصل ببعضها فليست واحدة منها حرة كل
الحرية وإنما لكل منها حدود في مهاماتها مع
الجماعات الأخرى .

رائد — ولكن ما العمل إذا رضوا بدخول القمار .

آخر — نقول لهم أننا سنعرض الأمر على اللجنة فإذا وافقت كان
لهم تنفيذ القرار .

آخر — هذه مجازفة — فإن النتيجة واضحة ظاهرة فلن يكون
قرار في المؤسسة بعد هذا سواء أصدر القرار من
الصبيان أو من اللجنة .

آخر — ونتمنى على الله أن يصدر القانون من الصبيان لأنه في
هذه الحالة مضمون التنفيذ إذ يسهر على تنفيذ مائة
وعشرون صبياً ، وتسهر على تنفيذها جماعاتهم
وحكوماتهم وموظفيها ، وبالاختصار تصبح كل
الضمانات متوافرة للتنفيذ .

وبعد نقاش طويل من هذا النوع ، وحوار كنت ترى من أسبابه الخوف من الرأي العام ، والناس خارج المؤسسة برغم ما كان ينصبه عليه الرئيس ، اتفقت الجماعة على هذه المقامرة ، ثم اتفقت على أن لا يتحدث بها أفرادها في خارج المؤسسة خوفاً من أن يسيء الناس فهمهم وروقتهم ما يعملون .

اجتمع الصبيان كلهم وعرض عليهم الرائد الأول هذا الرأي ، فقال لهم أن بعض صبيان المؤسسة يرغبون في إدخال القمار ضمن نشاطها ، ورجاهم أن يتناقشوا بمسألة الحرية ويتخذوا القرار الذي يروقهم ، فينفذ إذا لم يرقم في سبيله مانع يمنعنا من تنفيذه .

ولا يزمع الكاتب أن يسجل هنا مناقشات الصبيان وإنما يكتبني بأن يقول أن ما يقرب من العشرة منهم صوتوا في جانب القمار والمائة الآخرون صوتوا ضده . وكان القائلون بإدخاله يطلبون ذلك لأنه مسهل مشير ولأن لا ضرر مادي يهود منه فهم يلعبون بالمالايم ، وكان المعارضون من الصبيان يقولون أنه حرام وضد الدين والأخلاق ومفسد لسمعة المؤسسة ومضيقه للكسب الحلال ، ثم إن أوجه النشاط كثيرة في المؤسسة ويمكن زيادتها بأوجه أخرى غير القمار .

كل هذا والرواد جالسون لا ينبسون ببنت شفة كأن المسألة لا تعنيهم .
وقضى على نزعة القمار في المؤسسة من شهر يونيو سنة ١٩٤١

وحادثة أخرى شبيهة بهذه كان الرواد فيها أيضاً يخشون أن يتركوا المسألة فيها للصبيان يقررون ما يشاءون خوفاً من أن يأتي قرارهم منافياً لغيره والعادات وما تواضع عليه الناس من التصرفات التي تليق بالصبيان .

والكنهم تشجعوا بعد اختبارهم في حادثة لعب القمار وزالت عنهم بعض الشكوك التي كانت تساورهم في أن الصبيان إذا تركوا لأنفسهم قد يختارون ما يتطلبه العرف والمادات القويمة .

قلنا فيما سبق أن معظم صبيان المؤسسة ممن قبض عليهم البوليس لمخالفات وجرائم صغيرة أرتكبوها ، فهم بحكم حالة البيئة التي كانوا فيها معرضون لكل نفوذ يضر باخلاقهم وبشخصياتهم ، فكان أن أقبل بعضهم على التقاط اعقاب السجائر وتدخينها ، لا نظن امادة تمكنت منهم وانما المغامرة والظهور والشيطنة ، ودخل بعضهم المؤسسة وهو على هذه الحالة ، قد يدخن أن وجد النقود التي يشتري بها الدخان ، وكانوا يدخنون بالطبع في خفاء من الرواد بالطبع أخذوا يستنكرون من الاعقاب وجهها وتدخينها لأن هذه لا يليق بكرامتهم ، وقد شعروا بكرامتهم الآن ، ثم كانوا قد كانوا إعادة الصراخ معنا ، إذا سألوا اجابوا دون تردد .

وكان أن غير صبي صبيا بأنه يدخن اعقاب السجائر ، وكان الرائد واقفا معها اثناء هذا الحديث فاغتاز الصبي وقال مهترضاً أنه يدخن سجائر لها ثمنها وقيمتها وهذه هي السجائر حتى لا تعود تذكر الاعقاب ثم اخرج من جيبه بعض السجائر ، فقال له الرائد أن التدخين مضر به ، ولكن لعله أن الوعظ لا يفيد في مثل هذه الحالة تركه وشأنه ثم أخذ الموضوع لا اجتماع الرواد لبحثه ، وبعد مناقشات قرروا عرضه على الصبيان في اجتماع عام ، وقد كان . فيه قرر الصبيان منع التدخين منها باتا في داخل المؤسسة وفي خارجها ، ذلك لأن بعضهم طلب أن تترك لهم الحرية خارج المؤسسة . ثم وضع الصبيان العقوبات التي توقع على المخالف .

ثم مضى على هذا القرار مدة ، وكان أن اجتمعت احدى الجماعات التي تضمها المؤسسة مجتمعة يدير رئيسها الجلسة بالطريقة التي بينا في فصول هذا الكتاب ، والرائد جالس بينهم يساهم في التفكير والمناقشة ما رأى ضرورة

فذلك ، وبعد أن فرغ الرئيس من جدول الأعمال الذي كان أمام الجماعة في ذلك اليوم قال .

الرئيس — أرجو من نائب الرئيس أن يتولى الجلسة لأن هنالك

نقطة مهمة أريد عرضها عليكم . ثم نزل عن كرسى الرئاسة .

نائب الرئيس — (يجلس في كرسى الرئاسة) تفضل .

الرئيس — يا أخواني لقد ارتكبت مخالفة البارحة وهي أني دخلت

جلسة وكسرت القانون الذي وضعتموه فأرجو أن

توقعوا على العقوبة المقررة ، لا بل أرجو أن تشددوا في

العقوبة حتى لا تقول الجماعات الأخرى أن جماعتنا تحابي

ذوي السلطة فيها أو انها تتهاون في شأنهم ، فكرامة

جماعتنا تتطلب منكم أن تشددوا في العقوبة .

و كانت المناقشة تدور بين العمبيان هسو يدافع فيها عن سمعتهم ويطلب

تشديد العقوبة ، وبعضهم يريد أن يخففها لأنه اعترف بأخطائه ، ووعد أن

لا يعود لمثل هذا العمل مرة ثانية .

وبعد المناقشة انتهى قرارهم على أن يضربوه على قدميه عشرة عصي ،

فطرحوه على الأرض وأمسك بعضهم بقدميه وانتدبوا شخصا ليضربه

فضربه . ثم قام الصبي وهو يبكي والدموع تسيل من عينيه وذهب توا إلى

كرسى الرئاسة وجلس فيه . وقال انتهى الاجتماع .

— — —

ذهب سعادة رئيس مجلس إدارة المؤسسة محمد طاهر باشا لزيارتها يوما

من الأيام . وبعد أن تفقد سعادته محلات الأكل والمطبخ والمصنع وما أشبه

ذهب إلى حجرات النوم يتفقد ما . وكان يقلب الفراش ليرى مقدار نظافتها

واعتناء الصبيان وإدارة المؤسسة بهما . وبينما سعادته في هذا إذ به يجد
سيجارة في فراش أحدهم ونبه الرائد الأول الى هذا .

ثم اجتمع الصبيان لمقابلة سعادته . فوقف الرائد الأول ليقدم سعادته .
لهم وقال : —

تشرفنا اليوم بزيارة رئيس لجنة المؤسسة سعادة طاهر باشا الذي يعمل
بكل جهده على خدمتها ولقد سرر بما رأى فيها . ولكنى شعرت شخصياً بالحرج
عندما وجد سعادته سيجارة في فراش أحدكم وأظن أن هذه الحادثة أعطته
فكرة لانحباطنا . وعلى كل أشهر بصفتي الرائد الأول لهذه المؤسسة سنجعل
شبهه مما عمله هذا العسبي .

وأطلب الى صاحب هذه السيجارة أن يقف

فوقف العسبي في الحال دون تردد أو محاولة تردد وبفض النظر عن
الجو الذي كان يحيط بهمله . وقد كان واثقاً أن الصبيان لن يتركوها له .
فسوف يعاقبونه على عمله هذا . فقال الرائد : —

أرجو أن تذهب الى الحجرة لترميها في المرحاض ثم تعود . فذهب وفعله .
ثم استأنف الرائد قائلاً : أرجو من الصبيان أن يسامحوه ولا يعاقبوه على هذه
الغلطة وذلك اكراما لخاطر الزائرين . فقبل الصبيان وانتهت الحادثة .

— ه —

ابتدأ الفسلاء في مصر يشتد والأمور تضيق بالناس في سنة ١٩٤٢ . في
هذه السنة قلت المواد الغذائية أو اختزنها المضاربون وارتفعت تكاليف المعيشة
أضعافاً وأصبح الفلاء فأحشا فرفض متعهد الأغذية للمؤسسة أن يبي
على الانفاقات السابقة وطلب ما يقرب من أربعة أضعاف الثمن الذي كانت

تدفعه المؤسسة قبل هذا . فأجتمعت لجنة الإدارة وغيرت نظام الطعام . ومنعت منه كثيراً مما يحب الأطفال . وأدخلت عليه بعض المواد الرخيصة القليلة الثمن . ومع كل هذا كانت تدفع فيه مائتين وخمسين في المئة من الطعام السابق الذي كان يحبه الصبيان . واللجنة في هذا مضطرة بالطبع فشكوى العالم كله مقالوبة رأساً على عقب .

واكن الصبيان صبيان لا يقدرون مثل هذه الحالات كل التقدير وبخاصة لأن الرواد أغفلوا أن يضموا الأمور أمامهم بالطريقة المعبودة ظناً منهم أن كل الناس بما فيهم صبيان المؤسسة يعرفون الحالة الدولية ثم كان لسوء الصدفة أن البوليس قد أحضر لنا طائفة من الصبيان الجدد لا يعرفون طريقتنا ولا يعرفون كيف يسير هذا المعهد ، وكان أن الصبيان القدماء أخذوا يشكون من الأكل ويتذمرون لدرجة أنهم قاموا بثورة صغيرة لطيفة في المؤسسة انضم إليها الصبيان الجدد وبعض الصغار من القدماء وبعض الكبار الذين يهرمون بالمجازفة والتفكك بها لخروجها عن المألوف .

وكان أن رجم الصبيان زجاج بعض النوافذ بالحجارة فتحطم وخلع بعضهم حنفيات الماء . وهتفوا ما وسعهم حناجرهم ، وأعجبتهم مثل هذه الحالة فأجتمعوا على رداءة الطعام وكان يظهر عليهم أنهم مسرورون لهذه الظاهرة .

وكان بعض الرواد واقفين يشهدون هذا . وقد كان في استطاعتهم أن يسكتوا الصبيان ويخيفوهم في أي وقت ومتى شاءوا ولكنهم أمسكوا عن هذا وتركوهم يفعلون ما يشاءون إلى أن أسكت بعضهم بعضاً وعادوا إلى هدوئهم ورجع كل شيء إلى ما كان عليه .

ثم اجتمع الرواد وبحثوا الموضوع من كل وجوهه وأحضروا متعبداً

للزجاج لتقدير تكاليف إصلاحه وسمكوريا لتقدير إصلاح مواسير المياه
فكان التقدير كله مائة وستين قرشاً . ثم استفسر رأيهم على معالجة
الموضوع .

واجتمع الصبيان في اجتماع عام وقف فيه الرائد الأول وقال :

حدث من يومين اضطراب وتكسير للنوافذ وغيرها وصياح وصراخ
لا قدرى سببهما الآن ، وعلى كل حال لا شأن لنا بصياحك وصراخك ،
ولا مانع عندنا في أن تحطموا الشبابيك وماتشأؤون من الأثاث . ولا مانع
عندنا أن تموروا كل يوم ومرتين في كل يوم ، والآن لنبحث في هدوء
كهادتنا ماذا نريدوننا على أن نمنع بالنوافذ والمواسير المحطمة . كيف
نصلحها ونرجعها الى ما كانت عليه حتى تستطيعوا استعمال هذه اللواقية من
البرد . وتلك للشرب والاستحمام وما أشبهه ، فإذا كنتم ترغبون ، فأنا مستعد
لأن أذهب لمجلس ادارة المؤسسة وأقول لهم لقد شاء صبيان المؤسسة أن يحطموا
النوافذ والمواسير ويتكلف إصلاح هذه وتلك مائة وستين قرشاً ، ويرجو
الصبيان أن يدفعوا هذا المبلغ حتى يصلح ما فسد ، وهذا هو الحل الوحيد
أمام الرواد لا يرون حلاً يستطيعونه سواه ، فما رأيكم ، وهل لديكم حل
لهذا الاشكال ، قال هذا وجلس وترك الصبيان يتناقشون .

ثم نهض رئيس الصبيان بادارة الاجتماع ، وكان أن تناقشوا أولاً في
الطريقة التي اتبعت في التعبير عما يشهرون به ، وكان أن أخذ بعضهم يلوم
بعضهم على هذا التصرف دون أن يذكروا أسماء المحرضين أو يتعرضوا لهم
بخير أو بشر في هذا الاجتماع ، ثم كان أن طلبوا الى الجماعات أن تبحث
هذه المسألة وتكشف المسبيين لهذه الحالة ونهاقهم على اختيار مثل هذه
الطريقة في التعبير عن شكواهم .

ثم عرجوا على البحث في إصلاح ما فسد ، كيف يصلح ومن يدفع

تكاليف الاصلاح الى آخره : فقررنا بعد مداولات ومناقشات واشد
ورد أن يدفع الصبيان كجماعة ثمن الاصلاحات ، يخصص كل صبي منهم قرشاً
ونصف تقريباً . فعلى كل عضو في المؤسسة أن يقابل رئيسها ويتفق على
طريقة لدفع المبلغ . وهنا قامت صعوبة وهي أن بالمعهد ما يقرب من الثلاثين
صبياً صغيراً لم يبلغوا السن التي تيسر أن يشتغلوا في المصانع ويشكسبوا ،
فكان السؤال الذي يحتموه ، ما العمل مع هؤلاء ؟ فقرر بعد المناقشة أيضاً
أنه بما أن هؤلاء يجب أن يتضامنوا مع الجماعة كلها وقد ساءم بعضهم في
التخريب أيضاً لذلك يجب أن يستقطع من كل صبي صغير ثلاثة أرغفة مما
يصرف له الأكله ، ويعادل ثمن هذه المبلغ المطلوب من كل منهم .

هنا وقف الرائد الأول وقال .

نظن أن هذا الحل هو أقرب الأشياء الى المعقول ، نحن موافقون عليه
بشرط واحد وهو أن استقطاع الخبز عن الصغار يكون بالاتفاق بين الرائد
والفرد لكل حالة من الحالات ، ويجب أن يخضع القواعد لاتضر بالصحة ،
ونظن أن هذه القواعد تكون كما يأتي : لا يستقطع من أي صبي أكثر من
نصف رغيف في المرة الواحدة . ويجب أن لا يزيد ما يستقطع منه عن
رغيف واحد في الأسبوع على دفتين بهيدين بينهما أيام . وهنا وقف صبي
وقال نريد أن نتكلم في رداة الطعام في الوقت الحاضر ، فقال الرئيس نعمين
يوماً خاصاً للمناقشة في هذا الموضوع ، أما الآن فقد انتهى الاجتماع .

وفي اليوم المعين اجتمعنا مرة أخرى لنتناقش في رداة الطعام ، والواقع
أن الطعام لم يكن رديماً بل حسناً ومغدياً وقد وضع قائمته وكمياته وأنواعه
الدكتور علي بك حسن استاذ التغذية بكلية الطب ، وإنما ما كرهه الصبيان
في التفير هو الاقلال من اللحمة والحلوى والاستعاضة عنها بأشياء أقل
تكاليف منهما وإن كانت تقوم مقامهما في التغذية .

اجتمعنا وأذن الرئيس بالكلام للصبيان واحداً واحداً فأخذوا يقولون ويهيدون في أن الطعام بالمؤسسة أصبح رديئاً ، ذهبت عنده الألوان التي كانوا يحبونها ، فلماذا هذا ؟ ولماذا التوفير من هذا الباب ؟ ولماذا تريدون أن تقتصدوا ؟ إلى آخر هذه الأسئلة التي كنا قد أغفلنا الاجابة عنها قبل حدوث التغيير . فلو كنا قد تفاوضنا معهم قبل التغيير لما حدث شيء مما حدث .

وقف الرائد الاول وقال : كان نوع الطعام السابق الذي كنتم راضين عنه يكلف المؤسسة قرشين عن كل صبي ، فلما اشتد الغلاء رفض المتعهد أن يقدمه بهذا الثمن وطلب فيه ما يقرب من العشرة قروش وهذا مبلغ لا نشعر أننا نستطيع أن ندفعه نعماً للأغداء ، فطلبنا إلى الطبيب ان يضع قائمة اخرى وهي ما نستعمله الآن في المؤسسة وهذه تدفع قيمتها إدارة المؤسسة خمسة قروش عن كل صبي في اليوم كنا ندفع فيما تحبونه قرشين فأصبحنا ندفع فيما تكروهون خمسة قروش . والأسر لكم الآن قرروا ما تشاءون ، فإذا قررتم ان ترجع للقائمة القديمة وندفع العشرة قروش عن كل صبي ، آخذ هذا المجلس الادارة وأعرض رغباتكم عليهم ، فإذا كنا نحن الصبيان والموظفين نستطيع تدبير الفرق في الثمن دون ان نلجأ إلى اللجنة نهود إلى ما كنا فيه قبل هذا التغيير .

فتناقشوا في الموضوع طويلاً وتكلم منهم كثيرون ، ويذكر الكاتب صيياً واحداً منهم لأنه تحدث بعقل وبعنطق أعجبنا به ، قال الصبي :

يا إخوان هذا الأكل الذي نأكله مفيد وكاف ، نحن نشبع منه والدكتور يقول إنه مغذ ، حقاً إن القائمة السابقة عليه الذطما وأشهى ما كلاً ولكن لا تنسوا يا إخوان إننا في حرب والناس يموتون بالآلاف ، والطعام قليل في البلد ، ونعرف ناساً لا يجدون الخبز ويبيتون على الطوي .

وأظن أنه يليق بنا عوضاً عن الشكوى والتذمر أن نحمد الله على ما عطانا
في هذه الظروف العصيبة .

وهكذا إلى آخر هذا الكلام المقبول ، وبالاختصار قرر الصبيان
بالاجماع أنهم راضون بما أعطاهم الله .

ثم دفع الصبيان ثمن الزجاج والمواسير المحطمة بتمامه ، وقد استغرق
تعهيدية هذا الحساب بضعة أسابيع .

